

في وداع الضيَاء

(رثاء الرئيس الباكستاني ضياء الحق رحمه الله)

الخميس ١٤٠٩/٢/٣ هـ - ١٩٨٨/٩/١٥ م

العِلْمُ وَالْحَزْمُ وَالْإِسْلَامُ وَالْمَثَلُ وَالْحُكْمُ بِالشَّرْعِ وَالْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ
وَالْخَيْرُ وَالْبِرُّ وَالْأَفْعَالُ - نَحْسَبُهَا - وَالْعَدْلُ وَالْفَضْلُ وَالصَّمْصَامُ وَالْأَسَلُ^١
وَالسُّنْدُ وَالْهِنْدُ وَالْأَفْغَانُ مِثْلَهُمَا وَالْعُرْبُ وَالْعَجْمُ وَالْأَوْطَانُ وَالِدَوْلُ
تَبْكِي الضِّيَاءَ وَآمَالاً نَشَانَ بِهِ تَبْكِي وَتَهْتِفُ: هَلْ قَدْ غَادَرَ الْأَمَلُ؟!
إِنَّ الْحَوَادِثَ وَالْإِنْسَانَ مَسْرُوحَهَا تُدْمِي الْقُلُوبَ فَتَهْمِي إِثْرَهَا الْمُقْلُ^٢
تَجْهَمُ الْأَفْقَ مِنْ فَرْطِ الْمُصَابِ وَقَدْ غَارَ الضِّيَاءُ وَمَارَ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ^٣
إِنَّ الضِّيَاءَ ضِيَاءَ الْحَقِّ كَانَ فَتَى فَاخْتَارَهُ الدَّهْرُ كَيْمَا يُضْرَبُ الْمَثَلُ^٤
هَلَّا سَمِعْتَ بِيَاكِسْتَانَ نَعِيَهُمُوهُ اللَّهُ أَكْبَرُ! هَذَا الْقَائِدُ الرَّجُلُ
إِنَّ الَّذِينَ لَقُوا فِي اللَّهِ مَصْرَعَهُمْ نَالُوا الشَّهَادَةَ مَا مَاتُوا وَإِنْ قُتِلُوا^٥
إِنَّ الَّذِينَ تَرَاءَتْ نَارَ حِقْدِهِمُوهُ يَوْمَ اغْتِيَالِكَ.. مَا أَغْفَاهُمُ الْأَجَلُ^٦

١ الصصام : السيف ، الأسَل : الرُمح .
٢ تُدْمِي الْقُلُوبَ : تُسِيلُ دَمَ الْقُلُوبِ ، تَهْمِي : تَنْسَكِبُ ، الْمُقْلُ : الْمَقْصُودُ الْعِيُونَ .
٣ تَجْهَمُ الْأَفْقَ : عَيْسٌ وَتَغْيِيرٌ ، فَرْطُ الْمُصَابِ : شِدَّةُ الْمُصَابِ ، غَارَ : غَابَ ، مَارَ : اضْطَرَبَ .
٤ اخْتَارَهُ الدَّهْرُ لِيَكُونَ مُضْرَبُ الْمَثَلِ فِي صِفَاتِهِ .
٥ نَعِيَهُمُوهُ : أَيِ نَقَلَهُمْ لَخَبَرِ الْمَوْتِ .
٦ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ) آلِ عِمْرَانَ .

- فِيمَا نَظُنُّ - فِي الْعُقْبَى إِذَا رَحَلُوا^١

شَتَانَ بَيْنَكَ فِي الْمَثْوَى وَبَيْنَهُمُو

بِمَنْطِقِ الْحَالِ مَا ذَكَرَكَ^٢ لَوْ سَأَلُوا

يَا أَيُّهَا الرَّاحِلُ الْمَظْلُومُ قُلْ لَهُمُو

هُوَ الْبَيَانُ وَلَوْ لَمْ تُسْعِفِ الْجُمَّلُ

إِنَّ الْيَقِينَ وَمَا أَسْلَفَتْ^٣ مِنْ عَمَلٍ

تَرْضَى الصَّجِيحَ وَكَمْ قَدْ ضَجَّتِ الْهَمَلُ^٤

قَدَّمَتْ لِلدِّينِ إِحْدَى الْمُنْجَزَاتِ وَلَمْ

وَعَارِكِ الْغُرِّ فِي أَهْوَائِهِ عَجَلُ^٥

تَنْبِي الصَّوَارِيخِ وَالْأَقْمَارِ فِي عَجَلٍ

تَحْمِي حِمَى الدِّينِ حِينَ ادَّاعَتْ الْمِلَلُ^٦

مَعَامِلُ الذَّرَّةِ الْقَعْسَاءُ شِئْتِ بِهَا

أَرْضِ الْهَيْلَالِ ، بِإِذْنِ اللَّهِ يَكْتَمِلُ^٧

أَنْشَأَتْ أَعْظَمَ حِصْنٍ لِلْهَيْلَالِ عَلَى

مِنْ عُمُقِ أَرْضِكَ نَحْوِ الرُّؤْسِ فَارْتَحَلُوا

فَاضَ الْجِهَادُ عَلَى أَرْضِ الْجِهَادِ^٨ لَطَى

مَنْ فِي الْعُزَاةِ لَطَى النَّيْرَانِ يَحْتَمِلُ؟^٩

نَارًا تَأَجَّجُ لَا يُطْوَى سُرَادِقُهَا^٩

- لِلَّهِ دَرْكٌ - وَاسْعِدْ أَيُّهَا الْبَطَلُ

نَلْتِ الْمَكَارِمَ فِي ظَنِّ الْكِرَامِ فَطَبُّ

بَعْدَ ارْتِحَالِكَ أَلَّا يَحْدُثَ الْخَلَلُ

نَدْعُو لَكَ اللَّهُ بِالزُّلْفَى^{١٠} وَنَسْأَلُهُ

١ لن يُعْفَى الْأَجَلُ الْحَاقِدِينَ وَسَوْفَ يَنْزِلُ بِهِمْ مَا نَزَلَ بِكَ ، وَلَكِنْ شَتَانَ بَيْنَ مَصِيرِكَ وَمَصِيرِهِمْ .

٢ ما ذَكَرَكَ؟: الْمَقْصُودُ قُلْ لَهُمْ ذِكْرِيَاتِكَ الطَّيِّبَةَ الَّتِي تَرَكْتَهَا .

٣ أَسْلَفَتْ : قَدَّمَتْ .

٤ الْهَمَلُ : الْأَنْعَامُ .

٥ الْغُرُّ : الطَّائِشُ الَّذِي يَعْجَلُ فِي أَهْوَائِهِ وَرَغْبَاتِهِ .

٦ الْقَعْسَاءُ : الثَّابِتَةُ ، أَيْ أَنَّ الْمَعَامِلَ الذَّرِّيَّةَ الَّتِي أَنْتَجَتْ الْقَنَابِلَ النَّوَوِيَّةَ ثَابِتَةً ، ادَّاعَتْ الْمِلَلُ : تَدَّاعَتْ الْمِلَالُ الْمُعَادِيَّةَ ، الْمِلَالُ : الْأَدْيَانُ .

٧ الْهَيْلَالُ شِعَارُ الْإِسْلَامِ وَأَعْظَمُ حِصْنٌ أَنْشَأَهُ ضِيَاءُ الْحَقِّ عَلَى أَرْضِ الْإِسْلَامِ هُوَ مَعَامِلُ صُنْعِ الْقَنْبَلَةِ النَّوَوِيَّةِ .

٨ الْمَقْصُودُ بِأَرْضِ الْجِهَادِ أَفْغَانِسْتَانَ الَّتِي دَعَمَهَا بَاكِسْتَانُ .

٩ لَا يُطْوَى سُرَادِقُهَا : لَا يَزُولُ مُعْسَكَرُهَا .

١٠ الزُّلْفَى : الْقُرْبُ مِنَ اللَّهِ .

والخَيْرُ باقٍ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ وَإِنْ
جَدَّ الْعُدَاةُ لِسَحْقِ الْخَيْرِ لَنْ يَصِلُوا

* * *